كوسوفا

تبلغ مساحة إقليم كوسوفا ١٠,٨٧٧ كيلومتراً مربعاً أي أكبر من مساحة لبنان بقليل، إذ تبلغ مساحة لبنان ١٠,٤٠٠ كيلومتر مربع.

يبلغ عدد سكان كوسوفا ٢,٣٠٠,٠٠٠ إنسان، تبلغ نسبة المسلمين بينهم ٩٣٪ والباقي من النصارى وأغلبهم من الأرثوذكس.

وينتمي أكثر سكان الإقليم إلى الألبان وتزيد نسبتهم على ٩٠٪ من مجموع السكان، وينتمي أكثر من بقي من السكان إلى الصرب.

ويُعدّ إقليم كوسوفا امتداداً بشرياً لألبانيا، وهضبة مرتفعة يتراوح ارتفاعها بين ١١٥٤م على حدود صربيا و ٢٦٥٦م على حدود الجبل الأسود و ٢٧٠٢م على حدود مقدونيا.

ويعدّ إقليم كوسوفا خزان ماء إذ تنبع منه كثير من الأنهار التي تُغذّي المنطقة فمن جهة الشرق يبدأ مجرى نهر مورافا، ويجري نحو الشرق فيدخل بلاد صربيا ثم يتجه شمالاً فيصبّ في نهر الدانوب شرق مدينة بلغراد وعلى بعد خمسين كيلومتراً منها.

وعلى مقربة من مبدأ نهر مورافا يجري نهر فاردار نحو الجنوب فيدخل مقدونية، وبعدها يدخل بلاد اليونان ويصبّ في بحر إيجه إلى الغرب من مدينة سلانيك، وعلى بعد عشرين كيلومتراً منها.

وإلى القرب من منبع النهرين السابقين يخرج نهر إيبار، ويتجه شمالاً فيمر من غرب العاصمة برشتينا والتي تقع على أحد روافده، وعلى بعد أحد عشر كيلومتراً من مجراه، ويتابع النهر مجراه شمالاً فيدخل صربيا فيرفد نهر السابا -أحد روافد نهر الدانوب- والذي يلتقي به عند مدينة بلغراد، أما نهر أيبار فيصب في نهر السابا غرب مدينة بلغراد وعلى بعد مائة كيلومتر منها.

وفي الغرب يجري نهر درين ويلتقي فيه عدد من مجاري الأنهار ثم يجري نحو الجنوب الغربي ويدخل ألبانيا، ويشكل قوساً ينفتح نحو الجنوب ويصب في بحر الأدرياتيك.

وعلى طول مجاري الأنهار تمتدّ السهول، وتقوم الزراعات المختلفة، وعلى المرتفعات تنتشر الغابات التي يستفاد من أخشابها.

كما تضمّ أرض كوسوفا ثروةً معدنيةً، وهذا كله يدلّ على غنى الإقليم، وإمكانية الإفادة من ثرواته المختلفة.

والعاصمة هي مدينة برشتينا.

بحر
الجبل الأسود
البانيا
مقدونيا
بريشتينا
ليبليان
فاشاق
بريزرن
أوزرامبوفاتش
بيتروفاتش
جاكوفيتسا
فيتروفيتسا
بريزرن
بحر الأدرياتيك

كان إقليم كوسوفا يعرف باسم «داردانيا».

مُنح إقليم كوسوفا للصرب بعد مؤتمر السفراء في لندن عام ١٣٣٢هـ (١٩١٣م)، وكان الصرب يحلمون بصربنة المنطقة كلها، ولا يكفي الصربنة بالاحتلال بل لا بدّ من تحويل السكان إلى نصارى أرثوذكس، وبدأ الاضطهاد وهاجرت جماعات إلى تركيا والشام. وكذلك أُعطيت اليونان جزءاً من جنوبي ألبانيا، وهو مقاطعة شاميريا.

خضع إقليم كوسوفا مع غيره أثناء الحرب العالمية الأولى للاحتلال البلغاري - النمساوي.

تبعت كوسوفا بعد الحرب العالمية الأولى إلى المملكة الصربية، وبدأت الجرائم ضدّ المسلمين بصفتهم أتراكاً ما داموا مسلمين.

وفي عام ١٣٥٢هـ (١٩٣٤م) جرى اتفاق بين ملك الصرب، ورئيس تركيا مصطفى كمال على تهجير الألبان، وعلى أن يدفع ملك الصرب مائة ليرة ذهبية لمصطفى كمال مقابل هجرة كل فرد.

وفي عام ١٣٥٧هـ (١٩٣٨م) جرى اتفاق بين تركيا ويوغوسلافيا على تهجير أربعمائة ألف عائلة ألبانية خلال السنوات الثمانية التالية.

وأُنشئت دولة يوغوسلافيا، وسيطر عليها الصرب، وتكفّلت أوربا بتمويل الصرب ليكونوا منطقة عازلةً، وخط دفاع أول في البلقان ضدّ أي غزو إسلامي لأوربا يأتي عن طريق البلقان، وهذا ما جعل الصرب يتيهون على أوربا بأنهم يحمونها من الهجوم الإسلامي، ويكررون ما قاموا به من جرائم ضد المسلمين على مدار تاريخهم.

وأدخل الصرب أعداداً كبيرة منهم إلى البوسنة وإلى كوسوفا لإدارة المؤسسات الحكومية، ولم يحدث ما يستحق الذكر بالنسبة إلى كرواتيا وسلوفينية من قبل الصرب، ما دام سكان هاتين الدولتين من النصارى، ولكن ذهب ربع السكان ضحية في البوسنة، وخرج مليونا إنسان ولا يزالون لا يستطيعون العودة إلى ديارهم.

أعلن قادة حركة التحرير الشعبي ليوغوسلافيا أثناء الحرب العالمية الثانية أن الشعب الألباني في كوسوفا سيُمنح حق تقرير المصير بعد الحرب، ولكن بعد النصر أرسل الحزب الشيوعي وحدات من الجيش لاحتلال كوسوفا، فقاوم الألبان ثلاثة أشهر من ذي القعدة ١٣٦٣ إلى صفر ١٣٦٤هـ (تشرين الثاني ١٩٤٤

إلى شباط ١٩٤٥م)، وقُتل في هذه المرة سبعة وأربعون ألف ألباني.

وفي عام ١٣٦٤هـ (١٩٤٥م) قررت اللجنة المركزية للحزب الشيوعي تقسيم الأراضي الألبانية المحتلة بين ثلاث جمهوريات، وهي صربيا، والجبل الأسود، ومقدونية لتخفيف وطأة الألبانيين، وكانت كوسوفا من نصيب صربيا.

وفي شهر رمضان ١٣٦٤هـ (تموز ١٩٤٥م) قام الصرب بذبح سبعة وأربعين ألف مسلم من كوسوفا، فتشكّلت لجنة مقاومة سرية. كما كان الاضطهاد للمسلمين عامةً. وقد أباد (تيتو) أربعة وعشرين ألف مسلم.

وفي عام ١٣٦٥هـ (١٩٤٦م) ألغت الدولة الشيوعية المحاكم الشرعية، ومنعت الحجاب. كما أنشأت مجلس المشيخة الإسلامية وتضمّ عناصر ترضى عنهم الدولة، ويريدون العاجلة ويسعون لها دون أن ينظروا إلى الآخرة، وقد وافقوا على تصرّفات الدولة، وأسموا موافقتهم «فتوى»، ودعا مجلس المشيخة المسلمين إلى الهدوء، وأطلق على من سجنتهم الدولة اسم الإرهابيين. كما عملت الدولة الشيوعية على فرض التعليم الماركسي، وعلى إفساد

الفتاة المسلمة، والزواج من غير المسلم، والتجنيد الإلزامي، فهاجر إلى الخارج ما يقرب من أربعة ملايين مسلم مما زاد في ضعف موقف المسلمين.

ومنع التعليم الديني في كوسوفا. وكان مجلس المشيخة الإسلامية يلعب دوراً سلبياً إذ يُعيَّن أعضاؤه من قبل الدولة الحاقدة على المسلمين، فمثلاً يقول حسين موكيج رئيس العلماء اليوغوسلافي: الصرب النصارى الذين حاربوا بجانبنا ضد الألمان هم إخواننا وليس العرب المسلمون أو غيرهم.

ودعت الدولة إلى تحديد النسل فدعم مجلس المشيخة ذلك بفتوى مُؤيّدة.

وصدر دستور جديد عام ١٣٦٥هـ (١٩٤٦م) نصّ على تبعية كوسوفا لصربيا كإقليم يتمتع بالحكم الذاتي، غير أن هذا قد أُلغي في العام نفسه، فأخذت المقاومة طريقها، وبدأ الصراع، وسار الصرب في أسلوب الإبادة للمسلمين فقد تمّ إعدام أربعين عالماً في مدينة «بيلة» في يوم واحد. وعُدّل الدستور عام ١٣٨٨هـ (١٩٦٩م) واستعاد أهل كوسوفا حقهم في الحكم الذاتي.

وفي عام ١٣٩٤هـ (١٩٧٤م) صدر دستور جديد حيث توسّع

نطاق الحكم الذاتي في كوسوفا، وأصبحت مقاطعة اتحادية كبقية الوحدات. واعتُرف بالإسلام رسمياً في يوغوسلافيا وأنه يمثّل ٢٥٪ من عدد السكان.

ومات تيتو عام ١٤٠٠هـ (١٩٨٠م) وخاف سكان كوسوفا من ضياع ما حقّقوه فقاموا بمظاهرات سلمية في ٦ جمادى الأولى ١٤٠١هـ (١١ آذار ١٩٨١م) تطالب بإقامة جمهورية ألبانية في كوسوفا، وقد كان قادة الصرب الجدد يرون أن إقليم كوسوفا قد أخذ أكثر من حقه. وكان ردّ الفعل على هذه المظاهرات السلمية همجياً إذ كان حركة قمع وإبادة، وأصبحت تقوم مظاهرات مدة عشرات سنوات في مثل هذا اليوم (١١ آذار) ذكرى لتلك المظاهرات.

وأخذ الصرب بالعمل لإلحاق إقليم كوسوفا بالصرب، وتقدّمت الوحدات العسكرية الصربية لحصار المجلس النيابي الكوسوفي وإجبار أعضائه بالقوة على إصدار قرار بإلغاء الحكم الذاتي، وإعادة الهيمنة الصربية على الشعب المسلم وذلك في شعبان عام ١٤٠٩هـ (آذار ١٩٨٩م). ولكن هذا الأمر قد رُفض كما رُفض الأسلوب الذي اتُّبع فعقد المجلس النيابي الكوسوفي

اجتماعاً في مدخل بناء المجلس النيابي، إذ لم يسمح لهم بدخول المبنى، وأصدر المجلس قراراً برفض إلغاء الحكم الذاتي. فكان أن ألغت صربيا المؤسسات التي تُمثّل الشعب الكوسوفي. ثم فرضت صربيا حالة الطوارئ على كوسوفا عام ١٤١٠هـ (١٩٩٠م).

وفي عام ١٤١١هـ (١٩٩١م) جرى في كوسوفا استفتاء عام، وصوّت الشعب إلى جانب الاستقلال بنسبة ٩٩,٨٧٪، وأُعلنت كوسوفا جمهورية مستقلة، ولكن لم يعترف بها سوى ألبانيا، غير أن البوسنة، وكرواتيا، وسلوفينيا قد أيّدتها، واختير إبراهيم روجوفا رئيساً لكوسوفا. وأعلن الرئيس الألباني صالح بريشا أن كوسوفا جزء من ألبانيا فخافه الغرب فعمل على احتوائه. ذلك أن الغرب يخشى قيام دولة إسلامية على مقربة منه حيث يخاف على عقيدته أن تنتهي ويتركها الشعب لأنها هشّة ولا تنسجم مع الفطرة البشرية، ويرى صفاء الإسلام وانسجام منهجه مع النفس الإنسانية فيتبع المرء الأمر الصحيح وما يتفق مع العقل.

جيش تحرير كوسوفا:

في منتصف جمادى الآخرة من عام ١٤١١هـ (مطلع عام ١٩٩١م) أُعلن لأول مرةٍ عن عمليةٍ عسكريةٍ قام بها جيش تحرير

كوسوفا. وأُعلن عن قيامه رسمياً عام ١٤١٣هـ (١٩٩٣م) ولكن تبرّأت منه الأحزاب كافةً سوى حزب البرلمانيين، غير أن هذا الجيش قد وجد تعاطفاً واسعاً لدى المجتمع، وخاصةً الطلبة، وأُعلن أن الناطق الرسمي باسم هذا الجيش هو آدم ديماتشي، وهو أستاذ جامعي.

يتألف هذا الجيش من مسلمين ملتزمين، ومن قوميين، ومن شيوعيين، ويضمّ خمسين ألف جندي، وشعاره (لله وللوطن).

غيّر زعيم حزب الرابطة الكوسوفية إبراهيم روجوفا موقفه، وأصبح يتصل بقادة هذا الجيش، وغدا يعقوب كراسنيتشي المتحدّث الرسمي باسم جيش تحرير كوسوفا.

كان أسلوب قتال هذا الجيش حرب العصابات في بداية الأمر، ثم اتخذ أسلوب المواجهة والمنازلة رسمياً، ولكنه رجع إلى أسلوب حرب العصابات.

وقامت المظاهرات الصربية في بلغراد من قبل الأمهات تنتقد السياسة الصربية، وكانت الهتافات (ادفع بابنك يا ميلوسوفيتش).

كما أن المسؤولين في مقاطعة الجبل الأسود قد طلبوا بعدم زجّ قوات المقاطعة في الحرب العنصرية.

وفي شهر صفر ١٤١١هـ (أيلول ١٩٩٠م) عقد المجلس النيابي في كوسوفا اجتماعاً سرياً في (قاشانق)، وأسفر هذا الاجتماع عن إعلان دستور جديد يُقرّر إقامة جمهورية كوسوفا اليوغوسلافية.

وفي العام نفسه انهار الاتحاد اليوغوسلافي مع انهيار الشيوعية العالمية، وأعلن استقلال أربع جمهوريات يوغوسلافية وهي:

١- صربيا.

٢- البوسنة والهرسك.

٣- كرواتيا.

٤- سلوفينيا.

وفي شهر صفر ١٤١٢هـ (أيلول ١٩٩١م) قرر مجلس الشعب الكوسوفي في اجتماع عقده إعلان كوسوفا جمهوريةً مستقلةً، وقرّر إجراء استفتاء حول هذا القرار، ورغم محاولة صربيا الوقوف في وجه هذا الاستفتاء، ومنع السكان من الوصول إلى المدن والقرى وعددها ١٣٤٨ مدينة وقرية فقد تمّ، واستغرق خمسة أيام ١٨-٢٢ ربيع الأول ١٤١٢هـ (٢٦-٣٠ أيلول ١٩٩١م)، واشترك فيه ٨٧٪ من الناخبين، وكانت النتيجة موافقة ٩٩,٨٧٪ على الاستقلال.

اختار مجلس الشعب الكوسوفي حكومة جديدة برئاسة الدكتور يوبار بوقوشي، وأعلنت الحكومة موافقتها على البقاء ضمن الاتحاد اليوغوسلافي على أساس المساواة مع الآخرين إذا قُدّر له أن يقوم، والإصرار على الاستقلال التام إذا ما قرّرت جمهوريات الاتحاد الانفصال وإقامة كيانات سياسية مستقلة.

رفضت صربيا كل ما تمّ، وأعلنت أن ما تمّ كان بصورة غير شرعية، وأخذت بالاستعداد لإقامة مذبحة لحسم الموقف.

وأخذ الكوسوفيون بالاستعداد لإجراء انتخابات نيابية في الأسبوع القادم، وأصبح مقرّ الحكومة في مدينة جنيف بسويسرا، لتكون حرية اتخاذ القرار والتصرّف بعيدةً عن أيدي الصرب.

بدأ تحدّي الصرب للألبان الكوسوفيين، وأخذوا بطرد العائلات من بيوتها، وأُغلقت جامعة برشتينا وبعض المدارس الألبانية، واحتلّ الصرب مبنى الإذاعة والتلفزيون في برشتينا عن طريق الشرطة، وأُلغيت المحكمة العليا، ودخلت قوات صربية حتى أصبحت كوسوفا كأنها تحت الاحتلال العسكري.

وفي عام ١٩٨٩م وبمناسبة مرور ستمائة سنة على معركة كوسوفا التي انتصر فيها العثمانيون أخرج الرئيس الصربي (تابوتاً)

لأمير صربي قُتل في معركة كوسوفا عام ١٣٨٩م، ورتّب للقيام بجولة بهذا التابوت في أرجاء يوغوسلافيا كافة مع المسؤولين ورجال الكنيسة الأرثوذكسية ليُزكي نار الحقد ضد المسلمين، وليقول: هذا ما فعله المسلمون.

وأخرج الصرب العائلات الصربية التي تُقيم في كوسوفا، وأبقوا عصابات صربية مُدرّبة على الإجرام لتقوم بالأعمال الإجرامية ما شاء لها هواها أن تقوم، وهم يخططون لتوطين صربيين مكان الأسر المقتولة أو المشرّدة من المسلمين.

أسلوب الصرب:

عندما يُقرّر الصرب القيام بجريمة يقومون بـ:

١- يدفعون الأقلية الصربية للاشتباك مع السكان ثم تتدخّل القوات العسكرية الصربية.

٢- يدفعون جماعات من الصرب للاستيطان مكان الأسر المقتولة أو المهجّرة.

٣- يُشرّدون ما استطاعوا من السكان لتخفّ المقاومة.

٤- يصادرون ما أمكنهم مصادرته من أملاك السكان.